**المحاضرة السابعة والعشرون**

**عالم اجتماع اخر جارلس هرتن كولي 1864-1929 امريكي**

وضح كولي في كيفية ظهور النفس البشرية وسبل نموها من خلال مصطلح "الذات الفردية في المرأة الاجتماعية" ويعني به كولي ان الفرد يحصل على صورة نفسه من خلال ما يصوره الاخرين المحيطين به عنه. اي من خلال رؤيتهم لسلوكه وتفكيره وعلاقاته ومواقفه فهو لا يفكر بتصرفاته ومواقفه ولا يقومها على انها سلبية او ايجابية، سيئة او حسنة، بل يحصل عليها من حكم الاخرين عليه.

ويشير كولي يولد الفرد وتولد معه مشاعره وغرائزه فإن الذات تولد معه ايضاً. بينما تكون الانا من نتاج تفاعلاته مع الاخرين وان تزاوج الذات مع الانا تنتج النفس البشرية فادراك الطفل لصورته الاولى في مرايا (حكم) الاخرين يخضع لثقافة مجتمعه بعضها يأخذ وقتاً طويلاً والاخر وقتاً قصيراً.

ثم يضيف جارلس كولي "ان شعور الفرد بنفسه ما هو سوى انعكاس فكري حولها يأتي من عقول وافكار الاخرين المحيطين به، لذلك لا توجد نفساً بشرية معزولة وان الذات لا اهمية لها في نظر كولي ما لم يكن لها تفاعلاً مستمراً مع الاخرين.

ويشير كولي الى ان الفرد يرى نفسه من خلال رؤى وتقييم الاخرين، ويقول اننا نستطيع ان نفترض او نتصور مواقف الاخرين تجاهنا او الى انفسنا كما هي من خلال نظراتهم التي تأخذ ثلاث مستويات هي ما يأتي:-

1. كيف ينظر الاخرون الينا.
2. بعدها نتصور حكم الاخرين علينا.
3. اخيراً تقييم الذات من خلال حكم الاخرين علينا.

هذه المستويات سماها كولي "انعكاس النفس على المرأة الاجتماعية" او

(المرأة العاكسة)\*.

هذا التحليل الذي قدمه كولي يفسر لنا كيف تنمو النفس البشرية عند الانسان التي لا تظهر من الفراغ او بالولادة او بمعزل عن التفاعل مع الاخرين لأنها نتاج تفاعل الفرد مع الاخرين ومؤثراتهم عليه في بلورة تصورات وافكار عن نفسه. وفي ضوء ذلك تترعرع وتنمو النفس البشرية لكن اسلوب رعرعتها يختلف من مرحلة عمرية الى اخرى ومن مؤسسة اجتماعية الى اخرى لكنها لا تختلف في اهدافها. اي يبقى التفاعل قائماً مع الاخرين ومع الرموز الثقافية والمواقع الهرمية التي يشغلها الفرد في عمله وحياته اليومية التي بدورها تقوم بأنماء نفسه.

كل ذلك يوضح لنا ان النفس البشرة لا يمكن ان تنشأ وتنمو بمعزل عن ذوات ونفوس وعقول الاخرين بل هي صنيعتهم لا تستطيع العيش الا بينهم وضمنهم.

لكن جارلس كولي لم يوضح اثر حكم الاخرين على صورة او نفس الفرد المتفاعلين معه، اذ قد يكون صارماً بحكم قساوته او حرصه في حالة التفاعل بين الطفل وابويه. او قد يكون جافاً اذا صدر من اشخاص محافظين. في هذه الحالة تتكون صورة جافة وصارمة للنفس عن ذلك الفرد الامر الذي يجعل (حكم الاخرين) من ذاته خانعة منصاعة وخجولة. ان لم تكن منسحبة من تعبيرها عن كينونتها وفي هذه الحالة لا تتمكن تنمية نفسها بسبب كبحها واعاقة تطورها، لكن هذه الحالة لا تستمر هكذا الى الابد، بل تبحث فيما بعد عن مجالات غير الاسرة ليس فيها معايير تقويمية صارمة وجافة وقاسية لتبعد عن ذاتها المكبوتة وفي حالة وجودها ذلك فأنها تندفع في تعبيرها المكبوت بشكل غير طبيعي الى ان تتخلص من جميع مكبوتاتها (وقد تصل الى حالة الانحراف عن المعايير السوية). الا ان هذا التفريغ يأخذ وقتاً طويلاً من عمره وقد تصل الى نفس الفترة الزمنية التي خضع فيها لحالة كبت حكم الاخرين عليه). وهنا تكون خبرته الاجتماعية بسيطة وساذجة في التعامل مع الاخرين.

وربما تكون الخبرة الاجتماعية لدى الفرد مشوهة وغير ناضجة ايضاً في حالة كونه الوحيد في اسرته والمدلل فيها. اذ ان المغالاة في التدليل تنشئ ذات مندفعة دون موانع او حواجز فتتجاوز حدودها لتتسلط على حكم الاخرين وتذعنهم. لكن هذه الحالة لا تستمر حينما يتفاعل الفرد مع محاولات تنشئة اجتماعية اخرى خارج نطاق اسرته، اذ يصطدم بحوائل فتتعوق ذاته او تنكفي ويصاب صاحبها بالإحباط، فأما يكون عدوانياً شرساً واما يفشل في تفاعله مع الاخرين فينسحب من العديد من الجماعات الاجتماعية وينطوي في حياته الاجتماعية مما يجعل خبرته الاجتماعية غير ناضجة لأنها لم تنتج من توازن تفاعل الذات مع الانا الاجتماعية وحكم الاخرين بل من صرامة حكم الاخرين لاقهار الذات.

تسود حالة الذات المقهورة المجتمعات التقليدية والمحافظة لأنها تواجه صدا ومنعا وحرمانا من التعبير عن كينونتها في الاسرة والمدرسة والسوق والمحلات العامة والحفلات والتجمعات والصحف والمجلات لأن جميع هذه الاماكن والوسائل تخضع لحكم الاخرين التقليديين فتحجمها لكي لا تفصح عن رغائبه اي يقهرها ليكسرها او يؤسرها زمنا طويلا قد تأخذ فترة جيل او اجيال.

بمعنى اخر ان الفرد في المجتمع التقليدي لا يعبر عن ذاته بل عن ذوات الاخرين الذين يصوغون له قوالب نمطية في اللبس والاكل والتعبير والتفكير واختيار شريك الحياة والوان ذوقه واصدقائه وعمله وحتى اسماء ابنائه بسبب تأسير ذاته ومنعها من الانعتاق الاجتماعي. لكن اذا ثارت "الذات" على النفس التي قننها وحدد معالمها حكم الاخرين آنذاك ينسحب حكم الاخرين ليترك هياج الذات يعبر عن كبته "هنا ترتبك سلوكية الفرد فتكون قريبة من الذات الحيوانية لتشبع مما حرمت منه" ومن ثم ترجع الى حالتها المستقرة لتبدأ مرحلة جديدة تختلف عن مرحلتها المكبوتة التي عبرت عنها في ثورتها وهذه النتيجة طبيعية لحالة غير طبيعية عاشتها الذات في حضن النفس الاجتماعية المصطنعة "اي صنعها حكم الاخرين غير السوي او الناضج".